مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (33) العدد (4)2011
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (33) No. (4) 2011

تصور فكري إسلامي لفلسفة التربية

الدكتور غسان بركات*

(تاريخ الإيداع 3 / 8 / 2011. قبل للنشر في 7 / 9 / 2011)

□ ملخّص □

هدف البحث الحالي إلى رسم ملامح أولية لفلسفة إسلامية في التربية في مسائل الوجود والقيم والمعرفة استناداً إلى ما ورد في القرآن والسنة وأقوال السلف الصالح بهدف تعليم الأجيال المسلمة طرقاً متجددة للحياة والتفكير والتكيف مع المستجدات وبناء علاقة قوية بينه وبين أخيه الإنسان. ولذلك استخدم البحث المنهج الوصفي التحليلي وخاصة تحليل مضمون النصوص الإسلامية في مجالات الوجود والقيم والمعرفة المذكورة أعلاه. وقد بيّن البحث نظرة الإسلام للوجود والإنسان والحياة وبيّن رؤية الإسلام لطبيعة الإنسان ومبادئها وإلى الوجود ومعالمه وإلى الحياة وجوانبها المختلفة. كما قدّم البحث ملامح أولية لنظرية القيم في الإسلام موضحاً معناها وأهميتها وخصائصها وتصنيفها كقيم التقوى والكفر والنفاق سواء كانت قيم خلقية أو روحية أو علمية أو اجتماعية أو جمالية. وبيّن البحث المشكلات التي تواجهها القيم الإسلامية وخاصة تلك التي جاءت من الخارج أو من النظريات الأخرى أو من الصراع بين نظم القيم الإسلامية ذاتها وفي تقديم نظرية المعرفة في الإسلام ثم توضيح مفهومها وغايتها وأهميتها وشروطها الطبيعية اليقينية والنفعية وخطواتها ومصدرها ومبادئها وأدواتها ونماذجها. وأخيراً ناقش البحث علاقة الوجود والقيم والمعرفة بالنظام التربوي مركّزاً بشكل واضح على تربية الإنسان المسلم وتربية عقله على الاجتهاد وحرية التفكير والاعتراض مع احترام الضرورات الخمس والالتزام بها..

الكلمات المفتاحية: فلسفة التربية – الوجود – القيم .

* أستاذ مساعد في قسم أصول التربية – كلية التربية – جامعة تشرين – اللاذقية – سورية.

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (33) العدد (4)2011
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (33) No. (4) 2011

The Prospect of Islamic Thought for Educational Philosophy

Dr. Gassan Barakat*

(Received 3 / 8 / 2011. Accepted 7 / 9 / 2011)

□ ABSTRACT □

The aim of this research is to shape the initial prospects of Islamic philosophy in education in matters of existence, values, and knowledge on the basis of the Qur'an and Sunnah and the statements of Ancestors to introduce Muslim generations to new ways of life, thinking, adapting to new developments and building a strong relationship among human beings. Therefore, the researcher uses the descriptive analytical method, especially the content analysis of Islamic texts in the areas of existence, values, and knowledge. To look into the Islamic view of life and human life and the vision of Islam on human nature, principles, and existence and its features and life and its different aspects, the researcher presents the features of an initial theory of values in Islam, explaining its meaning, significance, characteristics, and classification of the values of piety, blasphemy, and hypocrisy, be they moral, spiritual, scientific, social, or aesthetic. The research highlights the problems facing Islamic values, especially those coming from overseas or from other theories or from the conflicting systems of Islamic values themselves and the theory of knowledge in Islam, clarifying its concept and significance. Finally, this study discusses relationship of existence, values, and knowledge with the educational system, focusing on elevating the Muslim mind in terms of hard work, freedom of thought, and the right to object.

Keywords: Educational philosophy, existence, value

***Associate Professor, Department of Education Fundamentals, Faculty of Education, Tishreen University, Lattakia, Syria.**

مقدمة:

منذ إطلالة القرن الحادي والعشرين ازدادت هجمة العولمة على بلداننا بما فيها سورية هادفة إلى محو هوياتنا وتقزيم دولنا وحكوماتنا ونهب ثرواتنا بشركاتها المتعددة والمتعدية الجنسية وتهميش ثقافتنا وقد ترافق ذلك مع غزو لبعض البلدان العربية والإسلامية كالصومال والعراق وأفغانستان وتعزيز التواجد العسكري في بلدان العالم الإسلامي مع دعم هائل لدويلة الصهاينة المغتصبة لفلسطين وبعض الأراضي العربية الأخرى. لقد استدعى هذا الوضع ضرورة إعادة النظر بموقفنا من هذه العولمة وبآثارها السلبية والإيجابية من جهة وبضرورة مراجعة أوضاعنا الداخلية والقومية والإسلامية من جهة أخرى.وقد توصل العرب والمسلمون إلى أن هناك خللاً في علاقة الإنسان عموماً والمسلم والعربي تحديداً بهذه العولمة وبهذا العالم الجديد. فالغرب ذو التاريخ الاستعماري يطمع بالهيمنة على مقدراتنا وعلى شعوب الأرض كلها بجميع الوسائل الممكنة وبخاصة مما يسمى المنظمات والهيئات الدولية أو الجيوش أو القواعد أو التبعية أو الشركات المتعددة الجنسية. أما شعوبنا فقد ردّت عليهم بطرائق شتى لا يجمعها قاسم مشترك أو هدف محدد. بعض المسلمين اتخذ موقف التكيف التام مع العولمة فركب موجة التغريب وألغى مفهوم المقاومة والدفاع عن النفس وبعضهم اتخذ موقف الآخذ بإيجابيات العولمة وترك سلبياتها وخاصة تلك المتعلقة بالقيم الخلقية والدينية فكان انتهازياً يكتفي بالمقاومة الكلامية لآثار العولمة ويتغنى بالماضي الذي لم يحقق فيه المسلمون كبشر سوى سيطرة جزئية على الكون فبقي هذا الفريق يعيش في الماضي. وهناك مسلمون ردّوا على محاولات العولمة للسيطرة على أوطانهم بضرورة الإعداد للمواجهة تمثلاً بقوله تعالى(وأعدّوا) وذلك ببناء بلدانهم وتحصينها بتوفير عناصر القوة وتناسوا أن العولمة لن تدعهم يفعلون ما أرادوه فحصل ما حصل اقتصادياً في إندونيسيا وماليزيا التي أرادت أن تحقق الاستقلال الذاتي لشعوبها. وهناك مسلمون دعوا إلى الجهاد والمقاومة بأشكالها المتعددة في مقاومة مطامع الغرب وعولمته. وقد انقسم هؤلاء إلى قسمين: قسم يؤمن بالإعداد وباستخدام المقاومة المحمود الذي أحلته جميع الشرائع السماوية والأرضية للدفاع عن التراث وعن الإنسان والدين والوطن ضد كل المعتدين وبناء كل عناصر القوة وكان ردّ الغرب على هذا الاتجاه هو السعي لتمزيق الدول الإسلامية الرافضة لهيمنة الغرب وعولمته أما القسم الآخر فقد لجأ إلى المقاومة غير المنظمة التي أوقعت الأذى على الإنسان المسلم المظلوم ففقد هذا الاتجاه جوهره الجهادي ولم يعد قادراً على تطوير مداركه وإمكاناته وعالمه فوصل إلى حائط مسدود فتمزقت البلدان التي انتشر فيها هذا الاتجاه كالصومال والعراق وأفغانستان وباكستان واليمن.....الخ.

مشكلة البحث:

إن الإنسان المسلم العاقل يتساءل عن كيفية الخروج من هذا المأزق. وعندما يحاول أن يجد مخرجاً فإنه لا يجده ولن يجده إلا بالعودة إلى الله ورسوله وإلى عقول المسلمين وآرائهم التي تعتمد على الإجماع والقياس والاجتهاد والاستحسان والمصالح المرسلة، وهذه أمور جوهرية لا يختلف عليها مسلم سواء كان حاكماً أو محكوما علمانياً أو غير علماني قوياً أو ضعيفاً ذكراً أو أنثى وإذا كنا _ونحن بالفعل_ متفقين على ذلك فإننا يجب أن نوحد الإستراتيجية وننوع التكتيكات وهذه كلها سبل للحل الإسلامي العقلاني. ولعل التربية أهم هذه الإستراتيجيات إطلاقا فهي تبني العقيدة لدى المسلم وتعلمه أصول الدين والشريعة وتمكنه من العلم النافع للفرد ومجتمعه فيتمكن من خلالها مقاومة كل من أراد سوءاً بأمته فيقوم بإصلاح أحوالها بالحكمة والموعظة الحسنة ويبني جيلاً قوياً قادراً على المجابهة وهزم المعتدين والنصر عليهم. لو فتشنا عن وجود فلسفة إسلامية واضحة ومعلنة يتفق عليها المسلمون لما وجدناه إلا شتاتاً هنا وهناك

. ولذلك سأحاول فيما يلي أن أحدد الوسيلة الأرقى لتحقيق غايات الإسلام والمسلمين النبيلة ألا وهي التربية كأداة عملية تمكننا من السيطرة على الطبيعة التي استخلفنا الله عليها لإعمارها والتعايش والتكيف معها في إطار تكاملي وتفاعلي، إذ لا يمكن لأحدنا أن ينفي الآخر. وعندئذٍ يعيش العالم بأقاليمه وبشره وقيمه وثقافاته المتنوعة بسلام تسوده العلاقات الإنسانية التكافلية المتبادلة بين كل سكانه الذين يجب أن يعيشوا بسعادة ورخاء وحيث لا توجد غيلان العولمة والاستعمار والتبعية والظلم المناقضة لكل ذلك. وفي عالم لا يستعمل فيه الاقتصاد والتفوق الصناعي والسلب والنهب والضياع والفقر والظلم بل يحيا بالقيم الشاملة والمستدامة التي تحقق للإنسان المسلم إنسانيته وسعادته وفق شرع الله (الإسلام). إن السؤال الآن هو هل تحقق التربية في العالم الإسلامي كل ذلك؟ إن الجواب قطعاً لا. ولعل السبب هو أن التربية في بلاد المسلمين لا تقوم على فلسفة إسلامية واحدة وليس لها أهداف وأسس ومحتويات مشتركة وبالتالي فإنها لا يمكن أن تكون بوصفها الحالي أداة موضوعية ترشد الإنسان إلى تحقيق سعادته واستقرار عالمه وتطوره ورخائه كما أراد الله له أن يكون. فالدول الإسلامية لديها فلسفات تربوية مختلفة قد يكون بعضها غير إسلامي وبعضها الآخر يلبس تربيته لبوساً إسلامياً لا ينفذ إلى محتواها وأما الآخرون فيرون التربية الإسلامية أداة لترسيخ حكمهم وقمع شعوبهم بتأويلات لم ينص عليها الدين صراحة ولا يقبلها العقل. في ظل ذلك تتحدد مشكلة هذا البحث بوضع تصور إسلامي لفلسفة التربية تقوم على نظرية الإسلام للوجود(الكون، الإنسان، الحياة) وللقيم (الحق، والخير، والجمال) وللمعرفة اعتماداً على ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

أسئلة البحث:

1_ما الفلسفة الإسلامية في الوجود والمعرفة والقيم؟

2_ ما المتطلبات والمضامين التربوية الفلسفية في نظرية الإسلام في الوجود والمعرفة والقيم؟

أهمية البحث وأهدافه:

1_ عرض وتوضيح ملامح الفلسفة التربوية الإسلامية في الوجود والقيم والمعرفة ومضامينها استناداً إلى ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

2_ تقديم رؤية تربوية إسلامية تعلم المسلم طرقاً متجددة للحياة والتفكير تضمن له السعادة، ولكونه الرخاء تعلّمه أساليب التكيّف الإيجابي مع المتغيرات الحالية والمستقبلية في الآفاق والنفس بطرائق عقلية وحدسية وعاطفية، تعلمه كيف يبني علاقة قوية ونبيلة واجتماعية راقية مع أخيه الإنسان ومع الكون تكون بعيدة عن عدّ المال مقياساً لتقويم الناس، تعلمه كيف يسعى لامتلاك ضمير جيد يضمن له أن يعيش وبقية الناس بطمأنينة وفاعلية في هذا العالم، وتعلمه أفكاراً ورؤى لا يمكن له ولكونه أن يستمرا بدونها وهي الأفكار الدينية الحقة التي تنبع من الأديان السماوية عموماً ومن الإسلام تحديداً ومن الفكر الإسلامي النبيل على وجه التحديد.

3_ تطوير محتوى التربية الإسلامية بما في ذلك أهدافها ومناهجها وطرائق تدريسها ومعلميها وفق أسس يقرها الدين وتتطلبها المتغيرات وذلك برغبة ذاتية ومجتمعية حقيقية كي نرقى إلى مستوى خلافتنا في الأرض.

حدود البحث:

الحدود الزمانية : منذ ظهور الإسلام حتى الآن. الحدود المكانية: العالم الإسلامي وتحديداً سوريا. الحدود الموضوعية: فلسفة التربية الإسلامية كما تبدو من الكتاب والسنة.

منهج البحث:

يعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي خاصة تحليل المضمون لنصوص القرآن الكريم والسنة وأقوال السلف الصالح.

أولاً: نظرية الوجود: نظرة الإسلام إلى الإنسان والكون والحياة.

للإسلام نظرية متكاملة في الوجود وتتميز هذه النظرية بوضوح الأفكار التي بني عليها نظام حياة المسلم فاعتنقها لأنها الضابط لجميع سلوكه وتصرفاته والرقيب على أعماله وحياته، بمنطقية المعتقدات الإسلامية ومعقوليتها وملاءمتها للفطرة العقلية والوجدانية والنفسية، بعرضها عرضاً مقنعاً إذ يستنبطها القرآن من خلال لفت الأنظار إلى الواقع المحسوس للتأمل فيما حولنا وفي أنفسنا تأملاً يوصلنا إلى معرفة الله وقدرته ووحدانيته وفقاً لطبيعتنا النفسية وفطرتنا الدينية، وباتخاذ القرآن للأسلوب الاستجوابي الحسي العاطفي الذي يخاطب العقل ليس لمجرد المعرفة الثقافية بل إرادة بتحول هذه المعرفة إلى حركة فكرية وعاطفية ثم إلى قوة دافعة تحقق مدلولها في الواقع. فكيف نظر الإسلام للإنسان؟

أ_ نظرة الإسلام إلى طبيعة الإنسان: إن قضية أصل الإنسان هي حجر الزاوية في فلسفات التربية التي تناقش الطبيعة الإنسانية وتبحث في وسائل تربيتها وتنميتها.ولقد تناقضت الفلسفات القائمة على العلم الحديث مع الإجابات التي يقدمها الدين عن هذا الأصل. فالدين يتحدث عن أصل الإنسان كفعل إلهي يطلق عليه اسم ((الخلق)). وهذا الخلق عملية متميزة عن الحيوانات الأخرى التي لها طبيعتها وأطوارها الخاصة. ومن هذه العملية تشكلت مكانة الإنسان وتحددت طرق تنشئته وتربيته والتعامل معه. أما فلسفات العلم الحديث فتنظر إلى أصل الإنسان كنتيجة لعملية طويلة من التطوير ابتداءً من أدنى أشكال الحياة حيث لا يوجد تميز واضح بين الإنسان والحيوان [1].

وتتمحور نظرة الإسلام للإنسان حول ما يلي:

1 _ حقيقة الإنسان وأصل خلقه: وترجع إلى أصلين: الأصل البعيد، وهو الخلقة الأولى، من طين حين سواه الله ونفخ فيه من روحه، والأصل الثاني: القريب وهو خلقه من نطفة. قال تعالى: {الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين..}[2].

2 _ الإنسان مخلوق مكرم: قال تعالى:{ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا"..}[3]. فقد رزق الله الإنسان قدرة جعله بها يسيطر على ما حوله من الكائنات، وسخرها الله له لمنعه من أن يذل نفسه لشيء منها.

3 _ الإنسان مميز ومختار: مما كرم الله به الإنسان أن جعله قادرا" على التمييز بين الخير والشر قال تعالى:{ونفس وما سواها، فألهمها فجورها وتقواها، قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها }[4]

---

[1] – الكيلاني، ماجد عرسان. فلسفة التربية الإسلامية. بيروت. مؤسسة الريان للنشر ط1. 1998م: ص25.

[2] – سورة السجدة، آية 7–8.

[3] – سورة الإسراء، آية 70.

[4] – سورة الشمس، آية 7–10.

4 _ مسؤولية الإنسان وجزاؤه: لم يكتف الإسلام بتكريم الإنسان، بل حمّله مقابل ذلك مسؤولية عظيمة ورتّب عليها الجزاء الوفاق. قال تعالى: {إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما" جهولا".}[5].وكذلك جعله مجزيا" يوم القيامة بما اختاره من خير أو شر قال تعالى: {فمن يعمل مثقال ذرة خيرا" يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا" يره..}[6].

5 _المهمة العليا للإنسان عبادة الله وتوحيده وإخلاص العبادة له: قال تعالى: {وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون..}[7].

لتوضيح مكانة نظرية الإسلام حول الإنسان يلزم مقارنتها ببعض النظريات والفلسفات الأخرى. حيث نرى أن النظرية المادية تهتم بالجانب المادي في تربية الإنسان وإعداده من الناحية المادية لينجح في حياته الدنيوية المادية وتهتم النظرية الروحية بالجانب الروحي في تربية الإنسان تربية روحية خالصة وتؤمن النظرية الثنائية المتكاملة بوجود الجانب الروحي والمادي معاً في كيان الإنسان وتهتم بالتربية الجسمية والروحية معاً وترى النظرية الواقعية أن الإنسان خلق من مادة وروح ولكن الجانب المادي هو الأصل والجانب الروحي هو تالٍ في الأهمية وتهتم بتربية الإنسان من الناحية المادية أكثر من اهتمامها بالناحية الروحية وتهتم النظرية المثالية وهي عكس النظرية السابقة بالإعداد الروحي أكثر من الإعداد المادي. أما وجهة النظر الإسلامية فهي متقاربة من وجهة النظر الثنائية المتكاملة لأن الإسلام يلوم الإفراط والتفريط في الحياة الروحية والمادية معاً ويدعو إلى التوسط في إعطاء كل ذي حقّ حقّه. فالإسلام منع الذين عزموا على مواصلة العبادات من صيام النهار وقيام الليل وترك الزواج وإتباع الرهبانية ولام الذين لم يتبعوا إلا الحياة المادية وقد شبههم القرآن بالأنعام لأنهم خلقوا لحياة أفضل من حياة البهائم ولهم حاجات روحية وعقلية سامية وهذه الحياة الروحية يجب الاعتراف بها وتحقيقها لأن ذلك يؤدي إلى التوازن والاعتدال[8].

وتقوم نظرة الإسلام إلى الإنسان وطبيعته على جملة من المبادئ المستمدة من القرآن والسنة منها:

المبدأ الأول: الإيمان بأن الإنسان هو أفضل ما في هذا الكون من عناصر وموجودات ومخلوقات ميزه الله على غيره من المخلوقات بذلك وفضّله على سائر المخلوقات. قال تعالى: {اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم}[9].

المبدأ الثاني: الإيمان بأن تكريم الإنسان وأفضليته على غيره من المخلوقات واستخلافه في الأرض لتعميرها وتحميله أمانة التكاليف وحرية ومسؤولية الاختيار والمحافظة على القيم يرجع إلى إيمانه وتقواه وخلقه وعقله وعمله واستعداده لكسب المعارف والمهارات المختلفة والاختراع والإبداع والقيم بالعمليات العقلية المختلفة.

المبدأ الثالث: الإيمان بأن الإنسان هو ذلك الحيوان الناطق القادر على الكلام وعلى استعمال اللغة كأداة للتفكير والاتصال، وتسمية الأشياء لتمييزها والتصرف فيها، وعلى اتخاذ العالم الواقعي المحيط به موضوع إدراكه

[5] – سورة الأحزاب، آية 72.

[6] – سورة الزلزلة، آية 7–8.

[7] – سورة الذاريات، آية 56.

[8] – يالجن، مقداد. سياسات التأصيل والتوجيه الإسلامي للعلوم والمعارف والفنون ط1. دار عالم الكتب. الرياض. 1416هـ، 1997م:ص20.

[9] – سورة العلق، آية 1.

وتفكيره وتفسيره وإبداعه وموضوع نشاطه لأحداث التغيير المرغوب فيه، وعلى التعلم، وعلى الإيمان بالغيب وعلى التمييز بين الخير والشر.

المبدأ الرابع: الإيمان بأن طبيعة الإنسان ذات أبعاد ثلاثة، هي الجسم، والعقل، والروح. مع ما بينها من توافق وانسجام لأن الإسلام هو دين الفطرة ودين التوازن والاعتدال في كل شيء.

المبدأ الخامس: الإيمان بأن الإنسان في حياته وفي جميع جوانب شخصيته ومظاهر نموه هو نتاج لعاملي الوراثة والبيئة. ويتفاعلان منذ بداية عملية التكوين، ثم يستمران في عملهما وتفاعلهما إلى نهاية حياة الإنسان. قال تعالى: {والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا" وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون...}[10].

المبدأ السادس: الإيمان بأن للإنسان دوافع وميولا" ونوازع وحاجات فطرية وراثية وأخرى مكتسبة، يكتسبها الإنسان عن طريق تفاعله مع عناصر بيئته المادية والبشرية ومع الثقافة التي يعيش فيها. ولتنظيم هذه الدوافع خلق الله لدى الإنسان قوة ضابطة (العقل والضمير) تمنع الشطط في أي دافع من الدوافع وعدم الاستجابة لدافع الغريزة. كما توجّه الفرد إلى القيام بمهمة الخلافة عن الله في الأرض قال تعالى: {وكان الإنسان أكثر شيْ جدلا} سورة الكهف، آية 54.

المبدأ السابع: الإيمان بأن الناس وإن تشابهوا فيما بينهم فإنهم ينتمون في شخصياتهم إلى عدد من الأنماط التي يمكن أن يصنف الأفراد تبعا" لها، أو تبعا" لسماتهم النفسية أو خصائصهم الأساسية قال تعالى: {وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم في ما آتاكم..}[11].

المبدأ الثامن: الإيمان بمرونة الطبيعة الإنسانية وقابليتها للتشكيل بأشكال مختلفة وقابليتها للتغيير والتعديل واكتساب معارف وعادات وقيم واتجاهات حديثة، وذلك عن طريق التفاعل الاجتماعي بين الفرد وبين بيئته وثقافته.

من خلال كل ما أسلفنا يتضح لنا كيف ينظر الإسلام للطبيعة الإنسانية وكيف تتلاقى هذه الفلسفة الإسلامية مع كثير من النظريات الأخرى كالفلسفة الثنائية والفلسفة المثالية في تأكيدها على الطبيعة الروحية للإنسان وبالتالي تحدد المبادئ العامة لتربية هذه الطبيعة الإنسانية والتي تفضّل الإنسان وتكرّمه على المخلوقات كلها وتكلّفه بخلافة الله في الأرض لأنه الكائن الوحيد القادر على التفكير واستخدام اللغة والرموز ولأنه وحده يملك جسماً وعقلاً وروحاً ونشأ من تفاعل الوراثة والبيئة معاً ويمتلك منظومة واقعية يوجهها العقل والضمير كيلا ينحرف ولكي يثبت تميزه وتفوقه على غيره فيما استخلفه الله فيه فيكون بذلك مرناً وقابلاً للتطوير والتعديل والاكتساب.

ب_ نظرة الإسلام إلى الكون: إن الفيلسوف التربوي يجب أن يحدد وجهة نظره بالنسبة للكون لأن لهذه النظرة تأثيرها وانعكاساتها في أفكاره وتطبيقاتها التربوية لأن التربية بكافة جوانبها مرتبطة بهذا الكون. لقد انقسم الفلاسفة في نظرتهم إلى حقيقة الكون وجوهره، فقال بعض الفلاسفة بأن طبيعة الكون مادية وآخرون قالوا بأن طبيعته روحية ومجموعة ثالثة قالوا بأنها روحية ومادية، وهذا منشأ الفلسفة الثنائية، وهؤلاء الثنائيون انقسموا فيما بينهم حسب تغليبهم لأي من الجانبين على الآخر. فبعضهم مهتم بالجانب الروحي أكثر من الجانب المادي وهم المثاليون الذين يرون أن الروح هي الأصل وأن المادة مظهر لها (وهدف التربية أن تقود الإنسان من طبيعته المعطاة إلى جوهره المثالي وأن تعينه على التخلص من الأولى وأيضاً استخدامها وتكييفها).أما الفلسفة الواقعية فتقوم على أساس أن الواقع المادي هو أساس الكون وتؤمن بالروح والمادة معاً إلا أنها تعطي الجانب المادي والحسي أهمية على الجانب الروحي وتهتم التربية

[10] – سورة النحل، آية 78.

[11] – سورة الأنعام، آية 165.

في ظل هذه الفلسفة بالواقع المادي والطبيعي والاجتماعي إلى جانب الإيمان بوجود الروح ووجود الله. أما الفلسفة المتكاملة فتقوم على تكامل النظرة إلى كل من المادة والروح، وإن هدف التربية في نظر هذه الفلسفة هو النمو المتكامل للشخصية الإنسانية وقد فرض هذا الاتجاه نفسه على الفكر التربوي المعاصر عالمياً وإسلامياً[12].

أما التربية الإسلامية السليمة فتعدّ الوجود موضوعاً لكثير من العلوم الإنسانية والطبيعية التي تتضمنها مناهجها الدراسية، كما تعدّ السنن الكونية والقوانين الطبيعية خير موجه في عمليات تخطيطها لمناهجها وفي اختيار وسائلها وطرقها وأساليب التعامل مع المتعلمين والعاملين في ميادينها المختلفة[13]. وتمتاز نظرة الإسلام إلى الكون بما يلي:

1_ الكون كله مخلوق لله، خلقه لهدف وغاية. قال تعالى:{ ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى..}[14]. وهذا يعني أن الكون لم يخلق عبثا بل هو ميدان للنشاط الإنساني يحقق فيه الإنسان دور الخلافة في الأرض وفق شرع الله. وارتباط المسلم بخالق الكون وبالهدف الأسمى من الحياة وهو عبادة الله تحدد ضرورة تربية الإنسان على الجدية، فالكون كله أقيم على أساس الحق ووجد لهدف معين وإلى أجل مسمى عند الله وليس العبث واللهو من شأنه تعالى.

2_ خضوع الكون لسنن ثابتة سنّها الله وفق أقدار قدّرها الله. قال تعالى: {لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون..}[15]. فكل شيء مقدر ويتجلى الأثر التربوي لهذا المبدأ في معرفة أن حوادث الكون تتكرر حسب سنن سنّها الله ، وهو وحده يملك أن يغيّرها إذا شاء، وهذا هو المبدأ الذي بنيت عليه جميع القوانين العلمية، وهو أساس التفكير العلمي، الذي به اكتشف الإنسان واخترع كلّ مظاهر الحضارة. وإنّ سنن هذا الكون قد خلقها الله أو أنزلها بقدر معلوم، لا يزيد ولا ينقص إلا بإرادة الله ولذلك فمعرفة الإنسان بها محدودة.

3_ رتّب الله سنناً اجتماعية لحياة الإنسان لذا أرسل الله على أساسها الرسل، وعذب الأمم وأهلك بعضها، ورتب آجالها، فال تعالى: {قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين}[16].

4_ الكون كله قانت لله.فكل ما في الكون خاضع لله، ولتدبيره ولأمره ولإرادته ومشيئته، قال تعالى: {تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن...}[17] .

5_ كثير ممّا في الكون مسخّر للإنسان زاخر بالنعم. قال تعالى: {وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون...}[18]. وهذه الآيات ترقّق قلب الإنسان وتربّي عواطفه وانفعالاته وعقله على مبدأ علمي وعملي تربية لا يطغى فيها الإنسان ولا يتجاوز حده وإنّما يستخدم ما سخّر الله له باسم الله وبأمره وفي حدود شريعته.

اعتماداً على هذه النظرة الإسلامية إلى الوجود حدّد الفلاسفة والعلماء المسلمون بعض المبادئ التي تقوم عليها نظرة الإسلام إلى الكون وقد لخّصها المرصفي[19] بمايلي:

---

[12] – مرسي، محمد منير. فلسفة التربية الإسلامية اتجاهاتها ومدارسها. عالم الكتب. القاهرة. 2001م: ص79.

[13] – الشيباني، عمر محمد التومي. فلسفة التربية الإسلامية. المنشأة العامة للنشر طرابلس ط1. 1986م: ص38.

[14] – سورة الأحقاف، آية 3.

[15] – سورة يس، آية 40.

[16] سورة آل عمران، آية 137.

[17] – سورة الإسراء، آية 44.

[18] – سورة النحل، آية 14.

[19] – المرصفي، محمد علي. من المبادئ التربوية في الإسلام. عالم المعرفة. جدة. 1403هـ: ص37.

المبدأ الأول: يؤمن المربي كغيره بأن التربية تتحقق عن طريق تفاعل الفرد مع الأشياء المحيطة به.

المبدأ الثاني: إن المراد بالكون أو العالم أو الطبيعة هو كلّ ماعدا الله تعالى من مخلوقات مادية وغير مادية (أي الروح، والمادة، والزمان، والمكان).

المبدأ الثالث: إن المسلم يؤمن بأن الوجود الممكن مادة وروح وبالتالي فإن العالم نوعان: عالم المادة والواقع وعالم الروح والخير والمثل العليا (أي عالم الشهادة والغيب).

المبدأ الرابع: إن العالم متغير وفي حركة مستمرة حسب السنن المرسومة له من خالقه، ولن تتوقف هذه الصيرورة إلا عندما يرث الله الأرض وما عليها.

المبدأ الخامس: إن الطبيعة ليست عدواً للإنسان وليست منفى للبشر بل تجب النظرة إلى الطبيعة على أنها خير صديق للإنسان حيث يتكون جسمه منها ويعود إليها عند الموت.

المبدأ السادس: إن العالم كله محدث غير قديم وإن التسليم بحدوث العالم يقتضي التسليم بوجود محدث له يرجح وجوده على عدمه ثم يرعاه ويحفظه ويحركه ويجدد خلقه باستمرار ولابد أن يكون هذا الخالق خارجاً عن هذا الكون ومستقلاً عنه ومتميزاً في وجوده عن وجود أي شيء منه فالله ليس سبباً أو علة بل هو مسبب الأسباب والعلل.

المبدأ السابع: إن خلق هذا العالم يرجع إلى الله وحده فهو يتفرد بالإلوهية وكل خصائصها وهو تلك القوة أو الذات العلية المتصفة بكل كمال والمنزهة عن كل نقص، ومن صفات كمال الله الوجود والقدم والبقاء والوحدانية والقدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والمخالفة للحوادث.

ج_ نظرة الإسلام إلى الحياة: وتبدو هذه النظرة من خلال أربعة معالم هي معنى الحياة وعلاقة الإنسان بها وكونها دار بلوى من جهة ومطلوب إعمارها من جهة أخرى. إن المفهوم الإسلامي للحياة الدنيا ينطوي على أربع قضايا أساسية هامة توضح لنا المفهومين الكلي والجزئي للحياة الدنيا. فالقضية الأولى: تمثل وصف الحق سبحانه وتعالى لطبيعة الحياة الدنيا وما تجسد فيها من متع يغوي بها ويفتن من جعلها مبلغ عمله ومركز اهتمامه. قال تعالى:{وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون.....}[20]. أما القضيّة الثانية: فتكمن في نظرة الإسلام إلى الحياة الدنيا فمن الناس من عرف كنه الحياة الدنيا وأسرارها ولم يعطها سوى قدرها فأعطاها ما تستحق وأخذ منها ما يقوّي موقفه وينير مستقبله في الحياة الآخرة يوم المثول أمام الحق سبحانه وتعالى. والقضية الثالثة: تكمن في مصير الإنسان في ضوء نظرته للحياة الدنيا فالإنسان الذي فهم حقيقة الدنيا وسيّر في ضوء ذلك شتى أموره الحياتية يكون قد استخدم (الحياة الدنيا) ليكون مصيره في الآخرة في جنات النعيم التي أعدت لهم فأصبحت الحياة الدنيا بالنسبة إليهم وسيلة توصلهم إلى جنات النعيم. أما القضية الرابعة: فهي أن الحياة الدنيا هي مجموع أنشطة الكائنات التي خلقها الله خلال أعمارها الزمنية، وعمارة الأرض وترقية الحياة على ظهرها إنما تكون باستثمار ما أودعه الله في الكائنات من طاقات استثماراً صالحاً وتوجيه ألوان النشاط البشري لاستخدام تلك الطاقات بالرفق واللطف وفق منهج الله. فالعلاقة قوية بين الإنسان والحياة وبخاصة عمارة الأرض.[21] ويمكن تأصيل هذه العلاقة من عدة جوانب هي:

---

[20] – سورة الأنعام، آية 32.

[21] – الحياري، حسن . أصول التربية في ضوء المدارس الفكرية.دار الأمل. أربد. الأردن. 1993م: ص5.

الجانب الأول: إن الله قدم الإنسان وجعله أفضل مخلوقات الوجود. قال تعالى: {ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر، ورزقناهم من لطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا...}[22].

الجانب الثاني: إن الإنسان ليس مستهلكاً فقط. بل هو منتج لنفسه ولغيره، فالأمة التي يعمل أبناؤها بجد وإتقان تكفي نفسها وتصدر فائض إنتاجها للآخرين.

الجانب الثالث: إن الله قد أودع الإنسان طاقات كثيرة، ومنها ما هو ظاهر ومنها ما هو مخفي، ليستخدمها في العمارة وترقية الحياة. كما أنه قد أودع الكون من الخيرات ما يكفي حاجة البشر ويزيد عليها، فالعالم الإسلامي هو مجتمع الكفاية والعدل. إن الحياة دار اختبار وامتحان في الإسلام، فقد نظر الإسلام إلى الحياة نظرة جدية ملؤها الشعور بالمسؤولية وتوجيه الدوافع، وقد ميز الله هذا الجنس (الإنسان) عن الملائكة وسائر المخلوقات بميزتين: **الميزة الأولى:** هي العلم والعقل. والإرادة والاختبار والتمييز بين الخير والشر. **الميزة الثانية:** إنه مخلوق من طين ثم من دم ولحم، وأنه تبعاً لذلك مجبول على الشهوات والدوافع الغريزية، وما يتفرع عنها من الجهل وسفك الدماء، والإفساد والخسران والهلع، والجزع، والطمع، قال تعالى:{والعصر إن الإنسان لفي خسر، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات...}[23]. واستمر الصراع في نفس ابن آدم بين الخير والشر حتى ختم الله الشرائع والأديان بالشريعة الإسلامية وتعين على جميع البشر أن يتّبعوها فأصبحت ورقة الامتحان التي تم نشرها بين جميع البشر ليتأملوا موضوعها ويستجيبوا لمطلبها، وهذان المصدران الرئيسيان للشريعة الإسلامية هما كتاب الله وسنّة رسوله.

ومن صفات الحياة الدنيا وعلاقة الإنسان بها:

أنها متاع مؤقت ولا يجوز اتخاذها غاية فيغتر بها وينسى الهدف الذي خلق من أجله، وهي مملوءة بالزينة، وهذا من تمام الابتلاء والاختبار، يجوز للمسلم أن يستمتع بها في حدود الشرع. قال تعالى:{وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا...}[24]. هي عالم له قوانينه الاجتماعية والبشرية التي سنها الله بين الشعوب والأمم فمن سخر الدنيا لإرضاء الله ربح في الدنيا والآخرة، وهي قصيرة الأمد ودار فناء عندما تنتهي الآجال تعود إلى باريها، وهي دار تعب وكدح وجدّ {يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقية}[25]. المؤمنون ينصرهم الله في الدنيا والآخرة فليست الدنيا لظهور الكفر والفساد فقط بل للإيمان والعدل والسلام، وهي دار تعب وتفاخر وتكاثر قال تعالى:{ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر}[26]. ولذلك فإن من الآثار العملية والتربوية لهذه الصفات تربية المسلم على ألا يغتر بالحياة الدنيا ولا يحرم نفسه منها، أن يصبر على بلواء الحياة وبأسها، وأن يجنّد كلّ عدّته لمواجهة أعداء الفضيلة والخير قولاً وفعلاً وأن يعلم أن الله ينصر المؤمنين.

ثانياً: نظرية القيم في الإسلام:

أ_ معنى القيم وأهميتها: إن القيم (بالمعنى الإيجابي) هي مجموعة الأخلاق التي تصنع نسيج الشخصية وتجعلها متكاملة وقادرة على التفاعل الحي مع المجتمع وعلى التوافق مع أعضائه وعلى العمل من أجل النّفس والأسرة

[22] – سورة الإسراء، آية 70.

[23] – سورة العصر، آية 1–2.

[24] – سورة القصص، آية 77.

[25] – سورة الانشقاق، آية 6.

[26] – سورة التكاثر، آية 1–2.

والعقيدة[27]. وتعرف القيم بأنها محكّات و مقاييس نحكم بها على الأفكار والأشخاص والأشياء والأعمال والموضوعات والمواقف الفردية والجماعية من حيث حسنها وقيمتها والرغبة بها أو من حيث سوئها وعدم قيمتها وكراهيتها أو في منزلة معينة ما بين هذين الحدّين، وتظهر أهمية القيم في أنها المحرك لنشاط المجتمع وهي المعيار أو المقياس لما هو حسن أو قبيح أو نافع أو ضار والقيم هي التي تنظم حياة الإنسان في كل المجالات. ولتحديد أهمية القيم في التربية الإسلامية نذكر منها ما ذكره طهطاوي[28].

1_ للقيم دور في مجال التوجيه والإرشاد النفسي وفي انتقاء الأفراد الصالحين لمهامهم.

2_ تعمل القيم على إيجاد نوع من التوازن والثبات للحياة الاجتماعية لأن الحياة مستحيلة دونها.

3_ تدفع القيم الأفراد إلى العمل وتوجيه نشاطهم وتحفظه موحداً ومتناسقاً.

4_ تستخدم القيم كمعايير وموازين يقاس بها العمل وتساعد على التنبؤ بسلوك صاحبها.

5_ تعمل القيم على توحيد أفراد الأمة وتماسكهم وهذا فيه إصلاح للمجتمع.

6_ ترسم القيم للإنسان الطريق الصحيح قال تعالى:{وأن هذا صراطي فاتبعوه}[29].

7_ يؤدي الالتزام بقيم الإسلام إلى صهر المجتمع الإسلامي في بوتقة واحدة[30].

8_ تنظم القيم الإسلامية علاقة الإنسان بخالقه.

9_ تساعد القيم على تطوير سلوك الإنسان وتغيير اتجاهه إسلامياً.

10_ تساعد على بناء المجتمع الإسلامي القائم على العقيدة الإسلامية وتشريعاتها وتساعده على التعامل مع المستجدات والمتغيرات الاجتماعية[31].

11_ يعمل الالتزام بالقيم على تكوين المسلم وإعداده لحمل الرسالة وأداء الأمانة.

12_ يحقق الالتزام بالقيم العدالة والمساواة بين البشر.

13_ يساعد التمسك بالقيم الإسلامية المجتمع على مواجهة التغيرات التي تحدث فيه.

14_ تسد الباب على القيم الوافدة من خارج ثقافتنا أو تقوم بأسلمتها[32].

تنبع هذه الأهمية للقيم الإسلامية التربوية من مكانة القيم في الاجتماع الإنساني وفي حياة الإنسان، ازدياد تعقيد ظواهر الاجتماع البشري وحاجة الإنسان المعاصر إلى الإحساس العميق بهويته والوعي بانتمائه وذلك نتيجة التطورات الحضارية العمرانية، تهدم الحدود بين الثقافات المحلية والإقليمية والقارية واختلاط القيم العالمية في حياة الأفراد والجماعات والحاجة للإبقاء على القيم الإيجابية ومحو القيم السلبية بهدف بقاء النوع البشري ورقيه، تركيز العلماء حديثاً على دور الدين كمصدر للقيم الإنسانية وتحديدهم لمواصفات لا تنطبق إلا على الدين الإسلامي، ومن أن العالم الإسلامي قد تخلف منذ زمن بعيد عن القيم الإسلامية الأصلية وارتد إلى قيم الأطوار الماضية التي لا تؤهله بحال لعبور الطور العالمي الذي يتعمق يوماً بعد يوم ويفرض على المجتمعات البشرية أن تبني قيماً ذات طابع عالمي إذا رغبت بالبقاء والنماء.

---

[27] – خياط، محمد جميل . المبادئ والقيم في التربية الإسلامية. مطابع جامعة أم القرى. مكة. 1416هـ: ص 33.

[28] – طهطاوي، سيد. القيم التربوية في القصص القرآني. دار الفكر العربي. القاهرة. 1416هـ: ص45.

[29] – سورة الأنعام، آية 153.

[30] – نفس المرجع رقم /27/ ص50.

[31] – طهطاوي، سيد. القيم التربوية في القصص القرآني. دار الفكر العربي. القاهرة. 1416هـ: ص37.

[32] – الكيلاني، ماجد عرسان. فلسفة التربية الإسلامية. بيروت. مؤسسة الريان للنشر ط1. 1998م: ص304.

ب_ خصائص القيم التربوية الإسلامية: تميزت القيم التربوية الإسلامية بخصائص تميزها عن غيرها من القيم التربوية في الفلسفات الأخرى ومن هذه الخصائص ما ذكره طهطاوي[33] وغيره كونها شاملة ومتكاملة لجميع جوانب شخصية الإنسان، متوازنة توازن بين الحياة المادية والوجدانية وبين الدنيا الآخرة قال تعالى:{وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا}[34]. واقعية في تعامل الإنسان مع نفسه وخالقه ومجتمعه، واضحة جلية لا غبار عليها، إنسانية تركز على الإنسان وسلوكه وتقدمه وبنائه من جميع الجوانب، ثابتة ومرنة في الوقت نفسه؛ فهناك قيم ثابتة كالقيم العقيدية ومرنة لمواجهة ما يتولد في حياة الناس من أمور ومواقف وحوادث تحتاج إلى نظر وتأمل، وسطية قال تعالى: {ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط}[35]. متنوعة ومتجددة فهي مستمدة من الوحي وتدعو إلى مواكبة التطور، تدعو إلى العلم، ربانية المصدر وربانية الهدف والغاية وربانية المنهج، تتقبل القيم الوافدة إذا كانت متفقة مع روح الإسلام وتقاومها إن لم تكن كذلك أو تقوم بدراستها وأسلمتها إن دعت الضرورة إلى ذلك.

تصنف القيم تصنيفات مختلفة ومتنوعة وكثيرة طبقاً لموضوعاتها وأهدافها ودرجتها وعموميتها والوضوح والدوام وسنحاول توضيح هذه التصنيفات كما يلي: على أساس الموضوع صنفها طهطاوي[36].إلى قيم دينية، نظرية، اقتصادية، اجتماعية، سياسية، وجمالية وعلى أساس المقصد صنفها أبو العينين[37].إلى قيم وسائلية كوسائل لغايات أبعد، وقيم غائية نهائية كونها أهدافاً وغايات للجماعات والأفراد. وصنفها أيضاً على أساس العمومية إلى: قيم عامة وهي القيم التي يعم انتشارها في المجتمع كله، وقيم خاصة. وهي القيم التي تتصل بمواسم معينة أو مواقف خاصة يحكمها الزمان والمكان. وعلى أساس الدرجة صنفها الطهطاوي[38].إلى قيم تفضيلية تحدد ما يفضل أن يكون، وقيم مثالية تحدد ما يرجى أن يكون. وصنفها أيضاً على أساس الوضوح إلى: قيم صريحة وهي القيم التي يصرح بها ويعبر عنها بالكلام، وقيم ضمنية: وهي القيم التي نستخلص وجودها من ملاحظة الميول والاتجاهات وأنماط السلوك الاجتماعية بصفة عامة. وصنفها على أساس الدوام إلى: قيم عابرة: وهي القيم الوقتية العارضة السريعة الزوال، وقيم دائمة وهي التي تبقى طويلاً وتنتقل من جيل لآخر. وتصنف القيم من حيث أهدافها إلى قيم أصيلة تنبع من ضمير الإنسان والمجتمع ويلتزم بها الجميع وهي حسب معتقداتهم تمثل الصواب والحق والفضيلة. وقيم مصانعة تفرضها المؤثرات الخارجية المتصلة بالرغبات الموقوتة المتلونة. ومن حيث موضوعاتها هناك ثلاثة أصناف: قيم جمالية نحكم بواسطتها على جمال الأعمال الفنية والطبيعية والمظاهر الشخصية وجمال السلوك، وقد حض عليها الله ورسوله (ص) يقول الحق سبحانه: {قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده....}[39]. وفي حديث الرسول (ص): {تزينوا لنسائكم}[40]. وقيم ذرائعية نحكم بها على الذرائع المستعملة لتحقيق أهداف معينة كأساليب الحوار والكلام والتجمع وأخلاقيات السلوك والاختلاف في الرأي، وقيم أخلاقية هي مبادئ نحكم بها على صواب الغايات والأعمال[41].ومن حيث الإطلاق

---

[33] – المرجع نفسه /31/

[34] – سورة القصص، آية 77.

[35] – سورة الإسراء، آية 29.

[36] – المرجع نفسه /31/ ص 46.

[37] – أبو العينين، علي خليل. القيم الإسلامية والتربية. ط1 مكتبة إبراهيم حلبي. القاهرة. 1408هـ: ص46.

[38] – طهطاوي، سيد. القيم التربوية في القصص القرآني. دار الفكر العربي. القاهرة. 1416هـ: ص48.

[39] – سورة الأعراف، آية 32.

[40] – علي، سعيد إسماعيل. الأصول السياسية للتربية. القاهرة. عالم الكتاب. 1978م: ص37.

[41] – الكيلاني، ماجد عرسان. فلسفة التربية الإسلامية. بيروت. مؤسسة الريان للنشر ط1. 1998م: ص345.

والنسبية: صنفها أبوالعينين[42]. إلى: قيم مطلقة وترتبط بالأصول وهي قيم ثابتة ومستمرة. وقم نسبية: ترتبط بما لم يرد فيه نص أو تشريع صريح. وصنّفها على أساس تحقيق المصلحة: إلى خمسة أصناف تتعلق بحفظ الكليات الخمس وهي: الدين (صلة الإنسان بربه)، النفس (صلة الإنسان بنفسه وحياته)، العقل (الجوانب الفكرية والعقلية في حياة الإنسان)، النسل (صلة الإنسان بغيره)، والمال (صلة الإنسان بالأشياء والمكاسب). وصنفها من حيث الترتيب الهرمي طبقاً لمحورين أساسيين هما: درجة النفع. وهي ثلاث درجات (الضروريات، الحاجيات، التحسينات). ودرجة الحكم من حيث الحلال والحرام والمباح والمكروه والمندوب.وصنفها من حيث تعلقها بأبعاد شخصية الإنسان وجوانبها إلى بعد مادي:يعبر عن القيم المتعلقة بالوجود المادي للإنسان. بعد خلقي: يتصل بالشعور بالمسؤولية. بعد عقلي: يتصل بالعقل والمعرفة وإدراك الحق ووظيفة المعرفة. بعد جمالي: يتعلق بالتذوق الجمالي والتعبير عنه وإدراك الاتساق في الحياة. بعد وجداني: ينظم انفعال الإنسان من غضب وكره وحب. بعد روحي: ينظم علاقة الإنسان بربه وهي أعلى السلم في القيم. بعد اجتماعي: وهي القيم التي تتصل بالوجود الاجتماعي للإنسان. وصنفها من حيث درجة الالتزام إلى نوعين هما: القيم الإلزامية: وهي ذات طابع إلزامي يلزم الإسلام بها أفراده ويرعى تنفيذها بقوة وحزم. والقيم التفاضلية: وهي قيم يشجع الإسلام الأفراد على الامتداد بها والسير تبعاً لها مثل المباح والآداب. ولو نظرنا إلى هذه التصنيفات السابقة لوجدنا أنها تنتمي إلى ميادين عديدة وكل ميدان يحاول أن يقدم تصنيفاً يتطابق مع فلسفته وفكره والنظرة إلى القيم كما يراها ويفسرها. ومع ذلك يرى الباحث أن الكيلاني[43]. قدم وصفاً لهذه القيم من خلال العشرين آية الأولى من سورة البقرة وحددها بثلاث هي:

أولاً: قيم التقوى: وهي معايير أو مقاييس يتبناها الإنسان المسلم لاتقاء الاصطدام بالقوانين والسنن الإلهية وتحدد علاقته مع الله عز وجل والإنسان والحياة والكون. أما سلم قيم التقوى فتتدرج في مستويات أعلاها مستوى قيم الإحسان ثم مستوى قيم الإيمان ثم مستوى قيم الإسلام. أما غاية قيم التقوى فهي غايتان: بقاء النوع البشري، ورقي النوع البشري. وتكمن أهمية قيم التقوى في أنها حصانة من الأضرار والمكائد الخارجية وضمان من الانحرافات العقلية وضمان للاستقرار الاجتماعي. قال تعالى: {ومن يتقي الله يجعل له من أمره يسراً....}[44].

ثانياً: قيم الكفر: هي نوع من المعايير التي يتبناها الإنسان الكافر لتحديد علاقته بالإنسان والحياة والكون ثم التغاضي عن هذه العلاقات بالله والآخرة وحجبها وإخفائها وعدم إعطائها أي نوع من الاهتمام. ويتألف سلم قيم الكفر من: قيم كفر الترف وهي المستوى الأساسي المولد لجميع مستويات الكفر وهي حجب وإخفاء جميع آيات الكتاب التي تكشف عنها آيات الآفاق والأنفس لأن هذه الآيات تكشف هيمنة المترفين على مصادر الاقتصاد والعيش وتعارض القوة أمام رغباتهم الجامحة في الترف والحياة الدنيا وهي العدو اللدود لقيم التقوى. قال تعالى:{وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون...}[45]. وتتمركز حول إخفاء المحور الاجتماعي _ الاقتصادي لأنه يدعو للمساواة والعدل والعدالة الاجتماعية. قيم كفر الاستضعاف: هي من مضاعفات كفر الترف لأن قيم كفر الترف تتسلح بقيم الاستكبار والقوة والبطش وتفرض ممارساتها على بقية القيم. وأهل قيم كفر الاستضعاف يقترفون هذه القيم إما بالسكوت أو الحراسة لقيم الترف أو اختلاق التبريرات لها. قال تعالى: {إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا

---

[42] – أبو العينين، علي خليل. القيم الإسلامية والتربية. ط1 مكتبة إبراهيم حلبي. القاهرة. 1408هـ: ص71.

[43] – نفس المرجع /41/ ص346.

[44] – سورة الطلاق، آية 4.

[45] – سورة سبأ، آية 34.

فيما كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض....}[46]. قيم كفر الحرمان: هي من مضاعفات قيم كفر الترف وهو رد فعل نفسي وعقلي ويحدث حيث يتسلح كفر الترف بالتبريرات التي يفرزها الفهم الديني الخاطئ أو العبث بالنص الديني ومن خطورته: حصر الاهتمام بزينة الحياة الدنيا والتركيز على المتع المادية المترفة. قال تعالى: {زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا}[47]. وعدم الالتزام بالمواثيق والعهود وفي العلاقات. قال تعالى: {كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة....}[48]. وشيوع الأنانية وانتشار الحسد وحجب الخير والمنافع والاضطهاد الديني وعدم التسامح مع المخالفين في القيم والمعتقدات. قال تعالى: {إن الكافرين كانوا لكم عدواً مبيناً}[49]. وتبديل الظلم في الأرض والفتن السياسية والثقافية وانتشار الفساد في الأخلاق والاجتماع. قال تعالى: {والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير.....}[50].

ثالثاً: قيم النفاق: النفاق معيار قيمي يتعامل بالأفكار وأنماط السلوك جلباً للمنافع ودفعاً للمضار بغض النظر عن أي معيار آخر وهي قيم تتعامل مع قيم التقوى وتظهر الصلاح وأحياناً قيم الكفر وتظهر الفساد للحصول على مصالح معينة فهي (قيم مصانعة) أما محاور النفاق فهي تقوم على معانقة كل من قيم التقوى وقيم الكفر لتأمين المصالح عند الطرفين قال تعالى:{وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون}[51]. وصفاتها لا تهتم بالمبادئ والأفكار والأخلاق ولا تتحمل في سبيلها أية مسؤولية. تهتم بالشكليات والمظاهر وتنميق الكلام والوقوف عنده بمقدار ما يخدم المصلحة. وتقوم بمعالجة المشكلات بالخلوات السرية وعقد الصفقات المتناقضة. وهكذا نجد أن نظرة الإسلام للقيم تشتق من القرآن الكريم والسنة النبوية والإجماع والمصالح المرسلة والعرف والاستحسان والقياس والإجماع وإن دور مؤسسات التربية الإسلامية هو أن تقدم قيماً متوافقة مع طبيعة المجتمع المسلم وثقافته عن طريق القدوة، التربية بالوقائع، أسلوب القصة، السؤال والحوار والمناقشة وأسلوب الترغيب والترهيب (الثواب والعقاب) وأسلوب النصح والوعظ وكثير من الأساليب الأخرى. وهنا لابد لنا أن نحدد الفضائل الخلقية المطلوبة من المسلم والرذائل المنهي عنها فما حسّنه الشرع كان حسناً وما قبّحه كان قبيحاً ، وقد جعل الرسول (ص) الدعوة إلى مكارم الأخلاق هدفاً للأنبياء، جميعاً فقال: (إنّما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) **فمن أهم الفضائل الخلقية التي أمر بها الله تعالى:**

1_ الصدق: ويؤدي إلى الثقة والتعاون بين الناس وقد أمر الله به بقوله {وكونوا مع الصادقين}[52]. وحذر من الكذب وأخبر أنه من صفات الكافرين بقوله {إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله، وأولئك هم الكاذبون}[53].

2_ الوفاء: يؤدي إلى الثقة ويحافظ على الوقت وتقدم المجتمع. قال تعالى:{وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا...}[54].

---

[46] – سورة النساء، آية97.

[47] – سورة البقرة، آية 212.

[48] – سورة التوبة، آية 8.

[49] – سورة النساء، آية 101.

[50] – سورة الأنفال، آية 73.

[51] –سورة البقرة، آية 14.

[52] – سورة التوبة، آية 119.

[53] – سورة النحل، آية 105.

[54] – سورة الإسراء، آية 34.

3_ الأمانة: وهي من مستلزمات الإيمان كما يعد الوفاء بالعهد دليلاً على صحة العقيدة قال الرسول (ص){لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له}. وتشمل كلّ ما كلف به الإنسان من الواجبات وما عهد إليه من المسؤوليات وأن يخلص في عمله ويتقنه، وأن يكتم سر صاحبه ولا يفشيه.

4_ الصبر: ويشمل القيام بالصلاة ومعاشرة الأهل وهو إرادة وعزيمة وثبات وصمود وسلاح صاحبه.

5_ العفو والحلم: وهو ضبط النفس وكفها عن الانفعال عند الغضب، ويدل على قوة الإرادة ومضاء العزيمة. قال الرسول (ص) {ليس الشديد بالصرعة وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب}.

ومن أهم الرذائل التي نهى الله عنها:

1_ الغيبة والنميمة: فقد نهى الإسلام عنهما. قال تعالى: {ولا يغتب بعضكم بعضاً}[55]. {ولا تطع كل حلاف مهين ، هماز مشاء بنميم}[56].

2_ السخرية: وقد نهى الله عن احتقار الناس والاستهزاء بهم فقال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم}[57].

3_ الكبر: وقد نهى الله جلّ جلاله عن الكبر والاختيال والزهو بالنفس بقوله تعالى: {ولا تمش في الأرض مرحاً، إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً}[58] .

ممّا ذكر أعلاه نخرج بتصنيف للقيم الإسلامية كما يلي:

1_ القيم الروحية: وهي القيم المنظمة لعلاقة الإنسان بالله تعالى.

2_ القيم الخلقية:وهي القيم التي تتصل بشعور الإنسان بالمسؤولية والجزاء والالتزام، ومنها الصدق، والاستقامة، والعدل وتجنب الحسد والطمع وترك الفحش، والأمانة، وشهادة الحق، وتجنب الظلم وشهادة الزور؛ والحياء، وتجنب السخرية، والإحسان، وتجنب الرياء والنفاق. والتبسم وطلاقة الوجه، وتجنب الزنا وشرب الخمر وكافة الأوساخ الخلقية.

3_ القيم العلمية والمعرفية: وهي تلك القيم التي تساعد الإنسان على إدراك الحق ومنها الاستدلال على وحدانية الله وطلب العلم ومعرفة الله وصفاته ومعرفة أحكام الشرع والالتزام بالموضوعية وتجنب الظن في التفكير واستخدام التجربة وأخذ كل علم من أهله[59].

4_ القيم الاجتماعية: هي تلك القيم التي تساعد الإنسان على وعي وإدراك وضبط وجوده الاجتماعي ومنها البر بالوالدين والزواج وتجنب الحرمات من النساء ومعاملة الزوجة بالحسنى والإنفاق عليها، واحترام الأولاد وتسميتهم بأسماء حسنى والعدل بينهم وتربيتهم وتعليمهم ومعاملة الجار بالحسنى والإخاء، والتراحم ونصرة المظلوم ولإعانة المحتاج وستر عيوب الناس وعدم إشاعة الفاحشة وإفشاء السلام والعناية باليتيم والأرملة والدعوة للخير والإصلاح بين الناس وعيادة المريض وغيرها كثير.

---

[55] – سورة الحجرات، آية 12.

[56] – سورة القلم، آية 10–11.

[57] – سورة الحجرات، آية 11.

[58] – سورة الإسراء، آية 37.

[59] – التميمي، عز الدين وزميله. نظرات في التربية الإسلامية. دار البشير. عمان. الأردن. 1405هـ : ص48.

5_ القيم الوجدانية: وهي قيم تتعلق بالحالات الانفعالية والعمليات الشعورية التي يستدل منها على السلوك وتتصل بثقة الإنسان بنفسه ومنها الثقة الدائمة في الله والاعتماد عليه والحب في الله وضبط الخوف من الموت ومن الفقر والغضب وضبط الحب والحزن والفرح والتمسك بالحق والتوبة والعزة.

6_ القيم الجمالية: هذه القيم تتصل بإدراك الاتساق والتوازن في مكونات الحياة وترجمة هذا الإدراك إلى سلوك جمالي ومنها إدراك الجمال وتأمله وتذوقه وتمييز الطعوم والألوان والحكة والتعبير الفني المقيد بالشرح وتحسين الصوت وبالذات عند قراءة القرآن والتزين والتطيب والجمال المعنوي .

هـ_ دور التربية تجاه القيم الإسلامية: بما أن التربية الإسلامية تهدف لإحداث تغير في سلوك الفرد في الاتجاه المرغوب فيه إسلامياً وإنّه ليس هناك فصل بين التربية الإسلامية والقيم التي تسعى لتأصيلها في أبناء المسلمين لأنها هي ذاتها عبارة عن مبادئ وقيم مستمدة من التشريع الإسلامي فتصبح التربية الوعاء الذي يشمل القيم وهي الحامل لها والمكلفة بنقلها للأجيال لكن التربية الإسلامية في ذلك تواجه مشكلات صعبة وفيما يلي تفصيل ذلك:

1_ المشكلات النابعة من الخارج: إن القيم الإسلامية في هذا العصر تعاني صراعات مع القيم الدخيلة عليها وهي قيم غربية تهدف لتمييع قيم الإسلام وإبدالها بقيم لا تتناسب مع طبيعة المسلمين. من خلال محاولات الهيمنة على الثقافة الإسلامية وإبعادها عن مجال العمل والإنتاج والممارسة وتفرض عليها الرجعية والقوقعة ولذلك فإن من واجب التربية أن تسهم في التوفيق بين هذه القيم الغربية والقيم الإسلامية فليس كل جديد يصح بل تقوم التربية بمحاولة تعديله حتى يتوافق مع شريعة الإسلام وإلا فلا. حيث تتم مواجهة الغزو الفكري بتربية النشء على قيم الإسلام الأصيلة وترويض ما يصلح من القيم المستوردة إن صلحت وناسبت تعاليم الإسلام. ووضع خطة مستقبلية في تعليمها وتأصيل قيم الإسلام يتم بإظهار القيم الإسلامية وبخاصة النسبية حيث تلائم حوادث العصر وصراعاته وتجعلها مناسبة. إعادة الناشئة المسلمة لخالقهم وتذكيرهم بماضي المسلمين ودور الإسلام وقيمه وأهميته وقيمته. توفير المؤسسات وتبني الأساليب التربوية العلمية في تجديد القيم بدلاً من التعسف القسري. وتطابق عمل المؤسسات التربوية وأساليبها وأدواتها في ميدان القيم مع القيم التي توجه المتعلمين إليها وتنهاهم عن بعضها.

2_ المشكلات الناشئة من النظريات الأخرى: في العالم الإسلامي تواجه التربية الإسلامية مشكلات ناجمة عن النظريات التربوية الأخرى التي يطبقها المسلمون تحت عنوان التربية الحديثة وتتمثل في تناقض مصادر القيم حيث جاءت خليطاً مضطرباً من المقاييس التي لا تسعف الإنسان في تقييم الأمور ولا تساعده على تحديد مكانته بين عناصر الوجود، تطرف بعض الفلسفات التربوية في تحديد معنى القيم وتناقضها، صعوبة تحديد معاني القيم، سطحية الثقافة، نزعة المجتمعات الحديثة للتخلي عن العقائد والإيديولوجيات في مجتمع ما بعد الإيديولوجية، عدم تقدير البحث العلمي وسطحية المعرفة السائدة والثقافة السائدة التي تضع القوة فوق الفكر وتعد السيف أصدق أنباء من الكتب وليس الرأي قبل شجاعة الشجعان فنشأ الإنسان المستعد لبذل نفسه وماله في سبيل ما يؤمن به وليس الإنسان الذي يبذل سنين من عمره في دراسة جادة لينجح موضوعاً أو يصل إلى تجلية حقيقية، ولذلك مازالت بعض القيم السائدة سطحية لا تعي المنزلة الحقيقية للفكر والثقافة. التناقض بين التلقين النظري والتطبيق العملي، فقدان القيم الذرائعية السليمة التي تتطلبها الحياة اليومية كأساليب الاتصال والحوار التي تفتقر إلى تقدير شعور الآخرين وتلوينها بالحدة والخصوصية والجدل المتطرف، وفقدان القيم الجمالية المتعلقة بالحياة الاجتماعية.

3_ المشكلات الناشئة من الصراع بين نظم القيم ذاتها: من الطبيعي أن تعمل قوانين الصراع بين نظم القيم إيجابياً أو سلبياً طبقاً لنظم التربية التي تطبقها والبيئة التي تعمل خلالها، ولذلك تستطيع التربية أن تتجنب التطور

السلبي في صراع القيم ومضاعفات الارتداد إلى قيم أخرى من خلال الحرص على إبقاء سلم قيم التقوى في أعلى مستوياته، والكشف المستمر عن القيم الإيجابية التي أخفيت وتجديد محتويات المصطلحات التي أفرغت من محتوياتها الإيجابية الفاعلة واستبدلت بمحتويات سلبية لإشاعتها في المجتمع ووضعها موضع التطبيق، استمرار الصراع مع قيم الكفر ونقدها وقذف قيم الحق عليها بغية دفعها وإزهاقها، تحرير القيم ومراجعتها حسب مقتضيات الزمان والمكان ثم بلورة القيم اللازمة للطور الجديد بأساليب علمية وعملية في تجديدها وتحديثها ودعمها، توفير الأوضاع والمؤسسات المناسبة لترسيخ القيم الإيجابية وإشاعتها مع مراعاة المواقف العملية والحاجات المتجددة[60].

ثالثاً: نظرية المعرفة:

أ_ مفهوم المعرفة في الإسلام وغايتها وأهميتها: إنها في رأي عبد الرحمن حبنكة (كاتب إسلامي سوري له عدة كتب في الفكر الإسلامي) عملية تتعاون فيها وسائل الحس الظاهرة والباطنة والآلات والأدوات التي تستخدمها الحواس، وموازين العقل الفطرية والمكتسبة ومعارفه السابقة التي اكتسبها بنفسه والتي تلقاها عن غيره ممّا اكتسبه الآخرون من معرفة يضاف إلى ذلك ما يوحي به الله لأنبيائه من معارف تكون لديهم علوم يقينية أو شبيهة بالعلوم اليقينية التي يكتسبها الناس العاديون بحواسهم. أما الكيلاني(كاتب إسلامي أردني له مؤلفات فكرية في قضايا تتعلق في الإسلام [61]. فيرى أن القرآن أطلق على المعرفة اسم القراءة وقسمها إلى صنفين: الأول: قراءة كتاب الخلق. قال تعالى: {اقرأ باسم ربك الذي خلق}[62]. وقراءة كتاب الكون. (آيات الآفاق) وهي ما يسمى بالاكتشاف والاختراع، وقراءة سفر الاجتماع الإنساني (آيات النفس) وهي قراءة يقوم بها العقل الإنساني من خلال العلماء الاجتماعيين. والثاني: قراءة ما يسطره القلم في الوراق والأسفار وهذه على مستويات هي: قراءة المعاني التي ترمز إليها الحروف والكلمات والجمل، وقراءة الحروف والكلمات والجمل والمعرفة الحقة هي المذكورة في المستوى الأول والعلم يسبق الكتابة. أما غاية المعرفة الأساسية فهي معرفة الله وشكره ويتجلى ذلك في الشواهد التالية: **الشاهد الأول:** إن مصدر المعرفة هو الله، قال تعالى:{اقرأ باسم ربك الذي خلق}[63]. **الشاهد الثاني:** إن مخطط المعرفة هو أكرم المخططين. قال تعالى: {ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون}[64]. **الشاهد الثالث:** إن مخطط هذه المعرفة قد يسّر أسباب التكافل والتعاون وتبادل المعرفة والخبرات بين المجتمعات المكانية مما ينفع الإنسان بعد موته. قال الرسول (ص) {إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث} وذكر منها علماً نافعاً ينتفع به. أما أهمية المعرفة فتكمن في أن لها أثراً كبيراً في حياة الفرد والجماعة وإفادتهما وهي أساس رفعة الأشخاص. قال تعالى: {قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون}[65]. وبها يفهم الإنسان تعاليم دينه على النحو السليم ويعرف أحكام الشريعة على النحو الصحيح قال سبحانه {إنما يخشى الله من عباده العلماء}[66] .

---

[60] – الكيلاني، ماجد عرسان. فلسفة التربية الإسلامية. بيروت. مؤسسة الريان للنشر ط1. 1998م: ص409.

[61] – نفس المرجع السابق ص 231.

[62] – سورة العلق، آية 1.

[63] – نفس المرجع /62/ السابق.

[64] – سورة الذاريات، آية 57.

[65] – سورة الزمر، آية 9.

[66] – سورة فاطر، آية 28.

وهي وسيلة الإنسان لمعرفة نفسه ومعرفة مسؤولية استخلافه على الأرض. قال تعالى: {وفي أنفسكم أفلا تبصرون}[67]

ب_ طبيعة المعرفة وشرطها: يرى العلماء أن المعرفة أشرف صفات الإنسان وهناك رأيان حولهما. أحدهما يرى أن المعرفة توقيفية أي أنها توقيف من الله على عبده ويستدلون على ذلك بقوله تعالى: {وعلم آدم الأسماء كلها..}[68] وعلى هذا فإن ما يتوصل إليه الإنسان من معرفة لا يعد شيئاً جديداً لأن هذه القوانين موجودة بالفعل ومهمة الإنسان الكشف عنها. والرأي الثاني يرى أن المعرفة مكتسبة. قال تعالى: {والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون}[69]. فهذا النوع من المعرفة يكتسبه الإنسان ويتعلمه من خلال الإمكانات والقدرات التي زوده بها خالقه ومبدعه. **ومن شروط المعرفة مايلي: اليقينية:** حيث لا يقبل الإسلام إطلاق لفظة المعرفة إلا على المعلومة التي يتم التيقن والتأكد منها بموضوعية والتي لا لبس فيها قال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم....}[70]. كما يرفض الإسلام ربط المعرفة بهوى النفس. **طلاقة المعرفة:** حيث يرى الإسلام أن الوصول إلى الحقيقة يتطلب معرفة طليقة تشمل الدّين والدّنيا وكلّ ما يؤدّي إلى عمران الحياة. فطلاقة المعرفة تشمل التبصّر في الكون والأنفس واستيعاب آيات الله وأوامره ونواهيه وسننه وقوانينه في الوجود والموجودات من غير استثناء. **والنفعية:** فالمعرفة قيمة عليا بذاتها ولكنها تبقى وسيلة لتحقيق الحياة الفضلى وجلب المنفعة والخير لبني الإنسان. كان النبي (ص) يقول في دعائه {اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع..}.

ومن خطوات المعرفة في التربية الإسلامية ومصدرها هناك: التفكير الحر _ تدوين المعرفة _ استيعاب المعرفة_ استنباتها.

د_ ميادين المعرفة وظواهرها: بالنسبة للميادين فإنها تشمل:

1_ ميدان الغيب: الغيب في الإسلام وجود وراء المحسوس وما زال مغيباً عن المشاهدة وهو قسمان: غيب قابل للتحول إلى شيء محسوس (متشيء) وهذا هو مجال المعرفة الإنسانية في الحياة الدّنيا.غيب مطلق يتعلق بالعلم الإلهي المتعلق بالنشأة والمصير وهذا يستدل عليه من شواهده وبراهينه والتي يقدمها النوع الأول. والحكمة وراء الإيمان بالغيب أنه يؤدي إلى التقدم المعرفي والارتقاء بالإنسان.

2_ ميدان الشهادة: وعالم الشهادة هو الوجود الكوني الذي تم بروزه ومشاهدته بالحواس وهو قسمان: ميدان النفس وميدان الآفاق. قال تعالى:{سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يبين لهم أنه الحق}[71]. ويتكامل عالم الغيب وعالم الشهادة وتوجد بينهما علاقة متكاملة متبادلة ومتجددة وتتمثل في أمرين هما: إن أدلة عالم الغيب وبراهينه موجودة في عالم الشهادة. وإن المخلوقات تبرز من عالم الغيب إلى عالم الشهادة وتنتقل من عالم الشهادة إلى عالم الغيب بانتظام ومثال ذلك الولادة والموت. أما الظواهر المميزة لميادين المعرفة فمنها: ظاهرة الزوجية: قال تعالى: {ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون..}[72].وظاهرة السببية: قال تعالى: {وآتينه من كل شيء سبباً}[73]. ظاهرة الوحدة

[67] – سورة الذاريات، آية 21.

[68] – سورة البقرة، آية31.

[69] – سورة النحل، آية 78.

[70] – سورة الحجرات، آية 12.

[71] – سورة فصلت، آية 53.

[72] – سورة الذاريات، آية 49.

[73] – سورة الكهف، آية84.

والتنوع: قال تعالى:{والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير}[74]. ظاهرة السننية والقانون: فعمليات الخلق والتردد بين عالمي الغيب والشهادة تجري وفق قوانين دقيقة. قال تعالى:{إنا كل شيء خلقناه بقدر}[75]. وظاهرة استمرارية الخلق وتطوره. وتتجلى في أمرين: استمرار بروز المخلوقات الجديدة الأفكار والأشخاص وتطور ما يخلق نفسه في مراحل خلق الإنسان.

هـ_ أدوات المعرفة: وتضم في المنظور الإسلامي.

1_ الوحي الإلهي: وهو أداة المعرفة في ميدان الغيب ويعد أهم وسائل المعرفة وأكملها وأيقنها لا يداخله ريب ولا يلابسه شك والوحي الإلهي نور رباني ينفثه المولى تبارك وتعالى في قلوب رسله المصطفين الأخيار ويلقيه في ورعهم عن طريق الملائكة الأطهار ليهدوا به البشرية إلى سواء السبيل وتتأتى المعرفة عن طريق الوحي الإلهي بقراءة القرآن وتلاوته فتشعرنا وكأن الوحي الإلهي يتنزل علينا ويكشف الحجب عن عقولنا ويملأ قلوبنا بالنور قال تعالى:{وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ماكنت تدري ماالكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا}[76].

2_ الحواس: تعدّ الحواس من سمع وبصر ولمس وذوق وشم من وسائل المعرفة البشرية وخاصة فيما يتعلق بدراسة ظواهر الكون بالملاحظة والتجربة والمشاهدة والاستقراء والاختبار والمتابعة.

3_ العقل: يعد العقل أساس المعرفة البشرية وفيه يدرك الإنسان حقيقة نفسه وحقيقة الحياة وحقيقة الكون ويتمكن من الفهم السليم ومن توجيه الحس وتناقضاته وهو أساس تكريم الإنسان وتفضيله على كثير من مخلوقاته قال تعالى:{أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها}[77].والتربية الإسلامية ترى أن الحس والعقل متكاملان ومترابطان ومنسجمان كوسيلتين هامتين للمعرفة البشرية. {ألم نجعل له عينين ولساناً وشفتين وهديناه النجدين}[78].

4_ وسائل خاصة: ويتمتع بها أفراد محدودون وفي ظروف خاصة أيضاً ومن أهمها نوعان هما الحدس والوحي أو الإلهام، فالحدس ليس نوعاً من أنواع الوحي بل هو معرفة تنتج عن إدراك سريع ومفاجئ نفسي خفي يحصل دون قصد أو تفكير لمواقف أو حقيقة دونما استخدام العقل والحواس أو الاستدلال العقلي، وهو وسيلة خاصة لإدراك الحقائق والمعارف اختص الله تعالى بها عباده الصالحين الأخيار. وبالإلهام تحصل المعرفة بسرعة خاطفة كأنها شعاع نور عن طريق الإدراك الباطني الذوقي الوجداني قال تعالى:{وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم}[79] تتكامل أدوات المعرفة لبلوغ الغاية الرئيسية وهي معرفة الله تعالى. والتربية الإسلامية تنظر إلى هذه الأدوات نظرة شمولية متكاملة وإن بالوحي الإلهي تتم هداية الإنسان إلى الحق ويزود بالمعارف اليقينية ويعلم بأمور الغيب التي لا يحيط بها عقله ولا تلحق بها حواسه وتظهر أهمية التكامل بين الوحي والعقل جلياً في مواطن كثيرة منها قوله تعالى:{لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم

---

[74] – سورة النور، آية 45.

[75] – سورة القمر، آية 49.

[76] – سورة الشورى، آية 52.

[77] – سورة الحج، آية 46.

[78] – سورة البلد، آية 8–10.

[79] – سورة القصص، آية 7.

يتفكرون}[80]. فبالعقل يدرك الإنسان حقائق الأشياء ويفهمها ويميزها، وبالحس يكتسب المعرفة المتعلقة بالأشياء المحسوسة عن طريق الملاحظة والتجربة، وبالحواس والإلهام يهدى إلى كثير من المعارف والمدركات التي يتم حصولها بالإشراق البديهي من خلال كشف شعوري وجداني وقتي لا حسي ولا عقلي ومن خلال عملية التكامل بين أدوات المعرفة فإنها تتم حين يوفر الوحي للعقل تنقية الخبرات الإنسانية من الوهم والخرافة وتجديد مناهج المعرفة ومسارها وإرشاد العقل إلى الهدف من المعرفة، كما يطلب الوحي من الدارس أن يدخل مختبر (آيات الآفاق والأنفس) مستعملاً قواه السمعية والبصرية لالتقاط ما أرشد إليه الوحي ثم يسلم ذلك إلى العقل ليقوم بعمليات الإدراك والوعي والمقارنة وبذلك يستفيد دنيوياً ودينياً.

و_ أنواع المعرفة وفرقها: اختلف العلماء المسلمون حول أنواع المعرفة في نظرية التربية الإسلامية فيذهب ابن سينا إلى تقسيم المعرفة إلى ثلاثة أنواع هي: معرفة بالفطرة: وهي معرفة المبادئ كقولنا: إن الواحد نصف الاثنين، معرفة بالفكرة: وهي معرفة مكتسبة لا يدركها إلا من وصل إلى مرتبة العقل المستفاد، ومعرفة بالحواس: وهي معرفة الشيء حدساً بلا قياس ولا علم، ويرى الأسمر[81]. أن المعرفة مكونة من ثلاث مجموعات معرفية كبرى هي: المعرفة الدينية: التي تقوم على معرفة الله ومعرفة الرسول (ص) ومعرفة العقيدة الإسلامية. والمعرفة الكونية: وهي المعرفة التي تتأتى عن طريق التفاعل مع موجودات الكون الأخرى. والمعرفة الاجتماعية: تأخذ المعرفة الاجتماعية في التربية الإسلامية ثلاثة مسارات وهي:

أ_ التبصر في النفس البشرية وطبيعتها وما يعتريها من حالات الضعف والقوة والاستقامة والانحراف.

ب_ دراسة طبيعة الاجتماع البشري بوعي وتدبر السلوك الإنساني والاجتماعي ومعرفة مسيرة التطور البشري قال تعالى:{أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم}[82].

ج_ معرفة شبكة العلاقات الواسعة وأسس بنائها وأحكام ترابطها بين الحاكمين والمحكومين والأفراد والجماعات والمصالح المتضاربة التي تؤثر في حياة المجتمعات وعطائها واستقرارها.

ع_ العلاقة بين المعرفة والنظام التربوي: هناك عدة اعتبارات في التربية الإسلامية حول عملية اختيار المضمون المعرفي وقد أوردها مرسي[83] على النحو التالي:

أ_الاعتبار الديني والخلقي والتهذيبي: ويندرج تحت هذا الاعتبار قيمة المادة التعليمية في تربية الجسم والعقل والنفس كونها مطالب دينية وقيمتها في تنمية الإيمان بالله وبلوغ الكمال الإنساني وصلاحه.

ب_ الاعتبار الثقافي والمعرفي: ويندرج بهذا الاعتبار قيمة المادة الدراسية بتزويد الإنسان بالمعرفة التي تمكنه من القيام برسالته كخليفة الله في الأرض وتعويده على التفكير والتعقل والتدبر في أموره.

ج_ الاعتبار النفعي الوظيفي: على أساس أن اللغة وسيلة لنقل الأفكار والمعرفة.

د_ الاعتبار اللغوي (التربية ولغة المعرفة): لابد للتربية أن تلعب دوراً أكثر جدية تجاه لغة المعرفة وهذا يتمثل في الآتي: إحداث تغيير جذري في تعليم وتعلم اللغة العربية. وجوب تعليم وتعلم اللغة العربية. العمل على إشاعة الفصحى. العمل على تنمية الأساليب اللغوية العقلانية. وأن يقتصر تعليم الشعر الجاهلي على الباحثين.

---

[80] – سورة الحشر، آية 21.

[81] – الأسمر، أحمد رجب. التربية في الإسلام. انتماء وارتقاء. دار الفرقان. عمان. 1997م : ص23.

[82] – سورة يوسف، آية 109.

[83] – مرسي، محمد منير. فلسفة التربية الإسلامية اتجاهاتها ومدارسها. عالم الكتب. القاهرة. 2001م: ص 119.

هـ_ إن أهم الاعتبارات الخاصة بالعلاقة بين المعرفة والنظام التربوي هي التربية العقلية وتحديداً تربية عقل المسلم فالعقل في الإسلام هو النور الروحاني الذي تدرك به النفس العلوم الضرورية النظرية. والعقل ما يقابل الغريزة التي لا اختبار لها. والعقل ما يكون به التفكير والاستدلال وما يميز به الحسن من القبيح والخير من الشر والحق من الباطن. وفي المصطلحات الإسلامية هو القوة المتهيئة لقبول العلم أو هو العلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة. ويعرفه الشريف الجرجاني: بأنه جوهر مجرد عن المادة في ذاته ومقارن له في فعله وهو النفس الناطقة التي يشير إليها كل واحد بقوله أنا؛ وقيل العقل جوهر روحاني خلقه الله ببدن الإنسان. ويعرفه الكندي: أنه جوهر بسيط مدرك للأشياء بحقائقها لا حقيقة ذاتية أو موضوعية تتخطاه. ويعرفه الفارابي بأنه حقيقة الإنسان وجوهره. وهكذا يبدو أنه الملكة التي يناط بها الوازع الأخلاقي والمنكر الذي نهى الله عنه على وجه التحريم وإن هذا الذي حرمه الله أو حظره يتقبله العقل لو تجرد عن الهوى. وبالتالي ليس هناك تناقض بين العقل والنقل أي الشرع ولو حدث تناقض في الظاهر وجب إزالته لأنه ليس صحيحاً فإذا لم يمكن إزالة هذا التناقض قلنا إن الخلل في عمل العقل لا في الشرع وعليه أن يعيد النظر والتأمل. وقد حدد الإسلام وظائف العقل بالفهم والتصور وإدراك الوازع الأخلاقي وإدراك سائر الأمور المحيطة بالإنسان وتأمل الإنسان فيما يدركه والرشد والهدى والصلاح.

الاستنتاجات والتوصيات:

هناك محاذير في عمل العقل: هناك محاذير يجب أن يبتعد عنها ويتخلص من الاتصاف بها نهائياً : منها تقليد السابقين دون تفكير أو نظر أو تدبير. والاقتداء الجامد بأصحاب السلطة الدينية دون تفكير فيما يكون عليه من يقولون عن أنفسهم إنهم رجال دين، من حق أو باطل وخطأ أو صواب. الخوف والجبن أمام أصحاب السلطة الدنيوية وما يترتب على هذا الخوف من حاكم مستبد من إلغاء للعقل وتعطيل له. عدم إدراك أن طاعة ولي الأمر واجبة ولكنها طاعة مقيدة بقيود منها: لا طاعة له فيما لو أمر بمعصية الله، لا سلطان له على القلب فأضعف الإيمان أن ينكر عليه ظلمه بقلبه وعقله. وهكذا نجد أن الإسلام يرفض أن يلغي الإنسان عقله أو يعطله بسبب تقليد الأسلاف أو بسبب الانصياع لأصحاب السلطة الدينية أو بسبب الخوف من أصحاب السلطة الدنيوية.

أما تربية الإسلام للعقل: فتعني أن يصل عقل الإنسان إلى أحسن مستوى له حيث يمارس أعماله بكل حرية وقدرة على الأداء الجيد ومن أبرز أهداف تربية الإسلام للعقل: 1_ العمل على تنمية العقل وتنويره أي إحداث التغيرات الوظيفية والهيكلية اللازمة لنمو المجتمع مع تحقيق أكبر قدر من الحرية والرفاهية بأسرع معدل ممكن. تزويد العقل بالعلم الموثق والمعرفة الصحيحة من كتاب الله وسنة رسوله (ص) في مجالات عديدة منها الحديث عن ذات الله ثم الحديث عن الكون. حث العقل على التفكير والنظر والتدبر فالعقل لابد أن يعمل وإلا أصابه الصدأ وبالتالي يتبلد فيقبل كل ما يعرض عليه دون تفكير أو تأمل. دعوة العقل إلى ترك ما يتوصل إليه بالظن والتخمين أي يجب تعويد العقل النظر في الأدلة لأن ذلك معناه الاهتداء إلى الحق دون إجبار. 2_ تعويد العقل التفكير العلمي فوسيلة التربية الإسلامية إلى تحقيق هذا الهدف هي أن يرفض العقل الخرافة والشعوذة والسحر لأن في ذلك إلغاء للعقل وتعطيلاً له قال الرسول (ص) {ليس منا من تطير أو تطير له أو تكهن له أو سحر أو سحر له ومن أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد (ص)}. 3_ تعويد العقل الأمانة العلمية لأنها مطلب شرعي لا يجوز التخلي عنه والأمانة العلمية تعني تجرد العقل من كل الشوائب التي تؤدي إلى الانحراف عن الحق. ومن أنواع التجرد في العلم: التجرد عن الهوى والتجرد من الأحكام الجزافية والتجرد من العجلة والتسرع . 4_ هو حرية التفكير غير المطلقة. فالتربية الإسلامية

للعقل تهدف على جعله حراً في تفكيره وتدبره وهذه الحرية احترام للعقل أي احترام للإنسان وتكريم له. وحرية العقل في التفكير تحتاج إلى احترازات من أهمها: الاجتهاد: أو بذل الجهد العقلي للوصول إلى حكم وهو حق من حقوق العقل كفله الإسلام واحترمه. رفض التقليد حيث لا يقلد أحداً وإنما يعمل بهدي ما يراه من رأي مع المحافظة على الأمانة العلمية والتجرد عن الهوى والتقليد في الإيمان لا يدل على الإيمان. إتاحة حرية التفكير وحرية الاعتراض وحرية النقد فله أن يبدي وجهة نظره في المقدم له فيناقش ويجادل بالتي هي أحسن وحرمان العقل من حرية النقد يعني حرماناً له من وظائفه بل تعطيل هذه الوظائف فيما لم يرد له نص من الكتاب والسنة والعمل على تنمية العقل وتنويره وتعويده التفكير العلمي وإعطائه حرية التفكير واحترام تدبيره. لأن الإنسان بالعقل يعرف توحيد الله وعلى التوحيد يقوم الإيمان كله. تأكيد مكانة العقل في الحياة: لأنه يهدي صاحبه إلى الإيمان بالله ويخرجه من الكفر ويوجهه إلى الهدى ويجنبه الضلال والعقل هو الذي يحصل العلوم الكلية الأولية ويكشف عما في العلوم من نور. وقد اتفق علماء الشريعة على أن تكيف الشريعة يرجع في جملتها إلى حفظ مقاصدها في الناس وهي: الضروريات _ الحاجيات _ التحسينات.

وهذا يقتضي استخدام وسائل تربية الإسلام للعقل مثل: تزويد العقل بروافد جديدة موثوقة من العلم والبحث في القرآن الكريم والسنة النبوية. عرض نماذج للتفكير العلمي أمام العقل والتفكير العلمي المنظم يعني الاستدلال العقلي الذي يقوم على المشاهدة والفهم والتصور والاستنتاج وإصدار الحكم والتفكير الحر الأمين دون قوة خارجية تؤثر عليه قال تعالى:{ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً}[84]. تغذية العقل بالقيم التي تجعله أميناً مع نفسه ومع أي موضوع يفكر فيه. تدريب العقل على حرية التفكير وإنقاذه من الجمود والتقليد وإعداده للترقي في كل مجالات نشاطه وتأهيله لأداء الأعمال بإتقان لأن العقل المدرب يشق طريقه في الحياة بسهولة. تشجيع العقل على ممارسة النقد وحق الاعتراض من المسلم به وإعطاء العقل حرية التفكير وتشجيعه على ممارسة الحرية في النقد والاعتراض.

المراجع:

القرآن الكريم
_ أبو العينين، علي خليل *القيم الإسلامية والتربية*، ط1 مكتبة إبراهيم حلبي، القاهرة (1408هـ).
_ الأسمر، أحمد رجب *التربية في الإسلام، انتماء وارتقاء*، دار الفرقان، عمان (1997م).
_ التميمي، عز الدين وزميله *نظرات في التربية الإسلامية*، دار البشير، عمان، الأردن (1405هـ).
_ الحياري، حسن *أصول التربية في ضوء المدارس الفكرية*، دار الأمل، أربد، الأردن (1993م).
_ خياط، محمد جميل *المبادئ والقيم في التربية الإسلامية*، مطابع جامعة أم القرى، مكة (1416هـ).
_ الشيباني، عمر محمد التومي *فلسفة التربية الإسلامية*، المنشأة العامة للنشر طرابلس ط (1986م) 1.
_ طهطاوي، سيد *القيم التربوية في القصص القرآني*، دار الفكر العربي، القاهرة (1416هـ).
_ علي، سعيد إسماعيل *الأصول السياسية للتربية*، القاهرة، عالم الكتاب (1978م).
_الكيلاني، ماجد عرسان *فلسفة التربية الإسلامية*، بيروت، مؤسسة الريان للنشر ط1 (1998م).

[84] – سورة الكهف، آية 54.

_مرسي، محمد منير *فلسفة التربية الإسلامية اتجاهاتها ومدارسها*، عالم الكتب، القاهرة (2001م).

_ المرصفي، محمد علي *من المبادئ التربوية في الإسلام*، عالم المعرفة، جدة (1403هـ).

_ يالجن، مقداد *سياسات التأصيل والتوجيه الإسلامي للعلوم والمعارف والفنون* ط1، دار عالم الكتب، الرياض (1416هـ، 1997م).